

تفسير ابن كثير

* عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين : (عسى الله أن يجعل بينكم

وبين الذين عاديتهم منهم مودة) أي : محبة بعد البغضة ، ومودة بعد النفرة ، وألفة بعد

الفرقة . (والله قدير) أي : على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة ، والمتباعدة ،

والمختلفة ، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة ، فتصبح مجتمعة متفقة ، كما قال

تعالى ممثنا على الأنصار : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم

فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الآية [آل عمران

: 103] . وكذا قال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - : " ألم أجدكم ضلالا فهداكم

الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ " . وقال الله تعالى : (هو الذي أيدك بنصره

وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن

الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) [الأنفال : 62 ، 63] . وفي الحديث " أحب حبيبك

هونا ما ، فعسى أن يكون بغيضك يوما ما . وأبغض بغيضك هونا ما ، فعسى أن يكون

حبيبك يوما ما " . وقال الشاعر وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان كل الظن ألا

تلاقيا وقوله تعالى : (والله غفور رحيم) أي : يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأتابوا

إلى ربهم وأسلموا له ، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه ، من أي ذنب كان . وقد قال

مقاتل بن حيان : إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب ، فإن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه . وفي هذا الذي قاله

مقاتل نظر ؛ فإن رسول الله تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان إنما

أسلم ليلة الفتح بلا خلاف . وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال : قرئ على

محمد بن عزيز : حدثني سلامة ، حدثني عقيل ، حدثني ابن شهاب ؛ أن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا ، فقاتله ، فكان أول من قاتل

في الردة وجاهد عن الدين . قال ابن شهاب : وهو ممن أنزل الله فيه : (عسى الله أن

يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) . وفي صحيح

مسلم ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان قال : يا رسول الله ، ثلاث أعطينهن . قال : " نعم "

. قال : وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين . قال : " نعم " . قال :

ومعاوية تجعله كاتباً بين يديك . قال : " نعم " . قال : وعندي أحسن العرب وأجمله ، أم

حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها . . . الحديث . وقد تقدم الكلام عليه .